

فهارس المجموعات الخطية وكتافتها؛ الفوائد والأسباب

Manuscript Catalogues and their density;benefits and reasons

وليد مسعود منصور

باحث بمركز المخطوطات - مكتبة الإسكندرية، دولة مصر

تاريخ النشر: 2020/01/30

تاريخ القبول: 2020/01/20

تاريخ الإرسال: 2019/12/30

الملخص :

تتقدم أعمار الأمم ويصبح حاضرها ومستقبلها بابا من أبواب الذكريات وكل أمة حالها بين سيرتين إما سيرة منسية أو سيرة باقية ولا تبقى السيرة إلا بحفظ تراثها وبقاء شيء من تاريخها يدل على ما كان منها في الأزمان الغابرة والأمة العربية حالها باق ببقاء تراثها ولحسن الحظ أن تراث الأمة العربية بقيامنه جزء محفوظا من الضياع و أحد عوامل حفظه هو وجود الفهارس التي تبوب و تصنف وتيسر الإطلاع على تفاصيل هذا التراث وقد كان لفهارس المخطوطات تاريخ طويل فيما بين النشأة والتطور وتعددت أنواع الفهارس باختلاف الغرض المقصود من كل نوع وهاجرت المجموعات الخطية تحت ظروف عديدة وتفرقت على مساحة شاسعة من الكرة الأرضية وفقا لظروف عديدة وتباينت أعداد المجموعات الخطية تباينا ملحوظا لأسباب مختلفة، والوقوف على تاريخ الفهارس وفوائدها أنواعها المختلفة وأسباب توزع كثافتها من دولة لأخرى هو موضوع هذا البحث.

الكلمات المفتاحية:

المخطوطات - فهارس المخطوطات- أسباب الكثافة- الفهرسة- بليوجرافيا.

Abstract :

Nations are ageing, their present and future become a door of memories, and each nation is in between two biographies, either a forgotten biography or a remaining biography

The biography remains only by preserving its heritage and the survival of something of its history that indicates what was from it in ancient times

The Arab Nation preserved its heritage, and fortunately the heritage of the Arab Nation remained a part of it, and one of the factors of its preservation is the presence of indexes that are classified and facilitate the access to the details of this heritage

Manuscript catalogues had a long history between genesis and evolution, and the types of indexes varied according to the intended purpose of each type, the linear groups migrated under many circumstances and dispersed over a vast area of land according to many circumstances.

The numbers of linear groups varied markedly for various reasons, and to determine the history of indexes and the benefits of their different types

The reasons for the distribution of its density from state to state are the subject of this research

Keywords:

Manuscripts - Manuscript catalogues - reasons of density- cataloguing - Bibliography

مقدمة:

تراث كل أمة هو ماضيها الذي تركن إليه لبناء مستقبلها وإدراك حاضرها، ولحسن الحظ أنه ما من أمة خلّفت وراءها تراثا مكتوبا بالحجم الذي تركته الأمة العربية والإسلامية، وليس أدل على هذا؛ من اهتمام غيرهم من الأمم بتراثهم العربي الإسلامي، فسعت جميع الأمم لاحتيازه والحصول عليه قدر المستطاع باذلين في سبيل ذلك الغالي والنفيس.

وها نحن نجد المجموعات الخطية العربية الإسلامية تنتشر في ربوع الدنيا، تتسابق عليها مكتبات الأثرياء في أوروبا وأمريكا؛ أفرادًا وحكومات، لدراستها وفحصها والاستفادة منها، وأحيانا لحرمان أهلها من تحصيل أي فائدة من تاريخ أسلافهم. على أن هذا الكم الهائل من المخطوطات منذ بدايات تفرع العلوم في الحضارة الإسلامية، قد استدعى إنشاء فهارس لترتيبه وتنسيقه وتيسير الوصول إلى المراد منه، وللفهارس تاريخ مبكر في الظهور، ولا تقف عند كونها مجرد مداخل لإثبات العناوين وإنما تتعدى إلى ما هو أبعد من ذلك بكثير.

وقد تعددت أنواع الفهارس، فلكل أمة حازت شيئا من تراث العرب طريقتها في إثبات وتدوين ما لديها من المجموعات، ولأهمية الفهارس على هذا النحو السالف؛ فقد دونت بحثي هذا؛ حيث جاء في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، متوخيا المنهجين الوصفي والتحليلي لدراسة هذا الموضوع؛ إذ هما أقرب المناهج إلى استبيان حقيقة المادة المطروحة.

فإن أكن وُفقت؛ فهذا الذي أرجوه وسعيت لأجله؛ وإن تكن الأخرى فحسبي أني حاولت راجيا أن يُنسخ عملي بصواب أساتذتي العلماء والباحثين.

المبحث الأول: الفهرسة وتاريخ الفهارس

المخطوطات العربية ثروة قومية موكول إليها حفظ علوم العرب وتاريخهم والدلالة الناصعة على ماضيهم المجيد وهي مثلها مثل بقية أركان نظام الأمة ماضيه وحاضره ومستقبله، لذا فإنه من الواجب التنقيب عنها والاعتناء بها فحصا ودراسة وتحقيقا على أفضل ما يكون، على أن هذا لا يكون إلا باتباع قواعد علمية رصينة يُقرأ أهل

التخصص في هذا المجال الحيوي تبدأ بجمع المخطوطات المتناثرة في ربوع مكتبات العالم ولدى الهواة بجمعها وفهرستها وتحقيقتها ثم إبرازها للعيان كي تتحصل منها الفائدة المرجوة وهي نشر العلم.

وحقاً نتمكن من الوقوف على هذه الكنوز الدفينة واستكشاف خباياها فلا بد قبل الاشتغال بتحقيق المخطوطات ودراستها من فهرسة المخطوطات وتصنيفها إلى فنون وموضوعات فما كان في الأدب يصنف في الأدب، وما كان في اللغة يصنف في اللغة وما كان في التاريخ يصنف في التاريخ وهكذا.

ولا تقف أهمية فهراس المخطوطات عند كونها قوائم إثبات للعناوين والمؤلفات وإنما تتعدى ذلك بكثير لتصبح بوجه من الوجوه منهجاً للبحث العلمي؛ وفقاً لأهم أدوات البحث العلمي وهي صفة الأمانة العلمية، فالفهرس فضلاً عن تيسيره معرفة محتويات الخزائن والمكتبات، هو يثبت بقدرٍ توخي مُعَدِّه للأمانة والدقة وحقيقة ما ينسب من التراث لكل مؤلف، دون أن تختلط نسبة الأفكار أو الكتب وبالتالي المادة التراثية على الجملة فلا يعترها من وراء هذا الاختلاط والدس ما يعتدي الأنساب البشرية من ذات الداء.

ومن هنا تأتي أهمية الفهارس و البيبليوجرافات المضبوطة والدقيقة في حفظ نسب التراث من الاختلاط على مدار تاريخه، وهو ما يمكن الباحثين في مراحلهم الأولى من تناول المواد البحثية من صحة الحكم واستقامة المسلك البحثي وتجنب الوقوع في عوار المزالق البحثية ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا إن علماء المسلمين هم الذين وضعوا المنهج العلمي في التأليف قبل أن تعرفه أوروبا بمئات السنين...ومن أراد دليلاً على ذلك فليرجع إلى مقدمة سيرة ابن هشام ليرى ما فعله الرجل بسيرة ابن اسحاق حذفاً وإضافة...فقد حذف المؤلف أشياء مما كتبه ابن اسحاق وأضاف أشياء من عنده، ونصَّ على ما حذفه في المقدمة، وحافظ على عبارة ابن اسحاق فيما أبقاها له، وحرص على ألا يختلط كلامه بكلام ابن اسحاق(1)"

¹ - عبد الستار الحلوجي (2012) المخطوطات والتراث العربي، الدار المصرية اللبنانية، ط: أولى، ص: 119.

تعريف الفهرسة:

الفهرس لغةً؛ "لفظ معرب أصله من الفارسية ويعني قائمة كتب أو مواضع للكتاب، وهذا المفهوم عبارة عن مجموعة مداخل تسجل وتصف وتبين هذه المحتويات، وفي عام 377 هـ استعمل النديم هذا اللفظ على كتابه الفهرست، ولم يكن النديم هو أول من استخدم لفظ (الفهرس) أو (الفهرست) للدلالة على ما يطلق عليه الآن (الببليوجرافيا) فقد استخدم اللفظ قبله بقرنين من الزمان، بدليل أنه ينقل عن فهرست كتب جابر بن حيان وفهرست كتب الرازي"⁽¹⁾

وبتتبع تاريخ الفهارس في التراث العربي نجد أن الفارق بين الفهرست والببليوجرافيا كان حاضرا في أذهان العلماء والمؤلفين وإن لم يعبروا عنه صراحة " وإذا كان القدماء من الغربيين يستعملون عددا من المصطلحات للتعبير عن هذه العملية الفنية كأن يقولوا مثلا catalogue أو Repertorium أو Bibliotheca أو Inventarium أو Index وهي كلمات يونانية ولاتينية، فإن القدماء من العرب المسلمين استعملوا كلمة (فهرست) الفارسية ليس للتعبير عن فهرسة المخطوطات والخزانات فقط، ولكن للتعبير أيضا عن علم الببليوجرافيا الذي هو غير علم الفهرسة، فلم يكن فهرست ابن النديم مثلا كتابا في الفهرسة بقدر ما هو كتاب ببليوجرافي بهر بتنسيقه وتنظيمه وتصنيفه المحدثين من المستشرقين"⁽²⁾

وعليه فإنه إذا كان لفظ الفهرست منذ القدم ثابت الدلالة على معنى الإحصاء لمقتنيات المكتبات والخزائن، فإن مدلول الببليوجرافيا قد استحدث للإشارة إلى مفهوم أوسع من لفظ الفهرست، وإن توافقت جميعها في عموم الدلالة "ولكن الفهرس يختص بحصر مقتنيات مكتبة بعينها أو عدة مكتبات...أما الببليوجرافيا فهي قائمة تحصي الإنتاج الفكري في موضوع ما، وقد يكون هذا الموضوع من السعة بحيث تدعو الضرورة إلى تحديده زمنيا أو مكانيا أو شكليا"⁽³⁾

¹ - عبد الستار الحلوجي (2002) المخطوطات والتراث العربي، الدار المصرية اللبنانية. ط 1، القاهرة، ص 20.

² - أحمد شوقي بنين (2004) دراسات في علم المخطوطات والبحث الببليوجرافي، المطبعة والوراقة الوطنية الحى المحمدي، مراكش، ط: الثانية، ص: 80.

³ - عبد الستار الحلوجي (2004)، نحو علم مخطوطات عربي، دار القاهرة، مصر، ط: أولى، ص: 127.

فحصر أعمال مؤلف ما كطه حسين أو محمود شاكر هو من أعمال الببليوجرافيا، وكذلك حصر الكتب المؤلفة في باب علم الكلام أو علوم التفسير، ولكن الفهرس أكثر اختصاصية من حيث الدلالة على محتويات مكتبة بعينها.

"والفهرسة بصفة عامة هي عملية إنشاء الفهارس أو الوصف الفني لأوعية المعلومات، بهدف أن تكون تلك الأوعية في متناول المستفيد بأيسر الطرق وفي أقل وقت ممكن(1)" ويراعى فيها دقة الوصف من حيث ذكر جميع المعلومات التي يمكن أن يستنبط منها توثيق الدلالة على هذا المخطوط أو زمنه أو الحالة المعرفية زمن تأليف أو نسخه وكذلك مؤلفه وناسخه وما قُيد به من سماعات وتعليقات وفوائد ونقول وتملكات ورحلة تنقله بين أيادي أرفف الخزائن والمكتبات وأيادي المالكين وأنواع الخطوط والحالة المادية للمخطوط.

ولا يتوقف أمر الفهرسة عند مجرد عرض البيانات المتاحة عن المخطوط، وإنما يتعداها إلى فقه المفهرس بطبيعة عمله وهو ما ينعكس على توصيفه للمخطوط وصفاً محيطاً يساعد في توجيه الباحث الوجهة الصحيحة في بحثه الذي من أجله للحصول على المخطوط "إذ يجب أن يُعلم الوصفُ الباحثَ عن مخطوط، بحيث يستطيع أن يحكم بملائمة استخدامه له في إطار بحثه، سواء أكان ذلك متعلقاً بنشر نص أو بتاريخه، أو تاريخ الكتاب أم لأغراض كوديكولوجية(2)"

تاريخ ظهور الفهارس:

ويعتبر المتخصصون الفهرس الببليوجرافي الذي وضعه الشاعر اليوناني كاليماخوس Callimachus في القرن الثالث قبل الميلاد لأهم مكتبات العصر القديم وهي "مكتبة الإسكندرية" أول فهرس منهجي وضع في التاريخ حيث قسم كاليماخوس المعرفة تقسيماً علمياً وصنف كتب المكتبة حسب هذا التقسيم وعنوان هذا الفهرست الذي يعرف بـ "البيناكس" "pancakes"؛ قوائم جميع المؤلفات الهامة في الثقافة اليونانية وأسماء

¹ - محمد فتحي عبد الهادي (2010) الدليل الإرشادي لفهرسة المخطوطات العربية، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ط: أولى، ص: 20.

² - فرانسوا دروش (2005) المدخل إلى علم الكتاب المخطوط بالحرف العربي، ت: أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ص: 378.

مؤلفها وكان يقع في مائة وعشرين لفافة بردية قسمت فيها محتويات المكتبة إلى ثمانية أقسام⁽¹⁾.

وأما عن الفهارس في التراث العربي، فإن نشأة فكرة التدوين منذ العصر النبوي وامتدادها مع تطور العلوم وخصوصاً علم الحديث الشريف، وانتشار مهنة النسخة، أدى إلى انتشار المكتبات الخاصة وهو ما يتطلب إنشاء فهارس لفحصها وترتيبها وتيسير الوقوف على ما فيها، ونستدل على هذا بما ذكره الجاحظ في البيان والتبيين أن أبا عمرو بن العلاء الذي عاش في الفترة بين 70 – 154 هجرية كتب عن العرب الفصحاء كتباً تملأ بيتاً له إلى قريب من السقف، ويورد الخطيب البغدادي في كتابه (تاريخ بغداد) أن محمد بن عمر الواقدي لما انتقل من الجانب الغربي في بغداد حمل كتبه على عشرين ومائة وقرّاً، والوقر هو الحمل الثقيل "وازداد وجود المكتبات العامة والخاصة في العهد الأموي وشاعت هذه المكتبات في العهدين العباسي والأندلسي وعهد الأغالبة بالقيروان في أواخر القرن الثالث الهجري"⁽²⁾

ولم يكن زمان بني أمية مشغولاً بالفتوحات والنزاعات الداخلية على حساب التأصيل المعرفي، وإنما يوازئها انتشار حلق العلم ونسخ المخطوطات وبالتالي يُستنتج وجود المكتبات الخاصة بالعلماء وطلبة العلم ولا بد أن هذه المكتبات يلزمها قوائم تعريفية بمحتوياتها "ولقد وجدت فهارس للمكتبات العربية قبل أن يبلغ القرن الثاني الهجري نهايته بدليل ما يروى من أن المأمون كان عنده فهرست بكتب خزانة الحكمة"⁽³⁾ "ويعلق ابن حزم على توصيف بعض هذه المكتبات وفهارسها في زمن الحكم المستنصر الأموي في قرطبة المتوفى سنة 385 هجرية، فيقول "وكان على خزانة العلوم والكتب بدار بني

¹ - أيمن فؤاد سيد (1997) الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات، الدار المصرية اللبنانية، ط 1، ج 2، ص 521.

² - عصام محمد الشنطي، مناهج فهرسة المخطوطات وعناصرها، بدون بيانات نشر، ص: 5.

³ - عبد الستار الحلوجي (2001) المخطوطات والتراث العربي، الدار المصرية اللبنانية، ص: 28.

مروان، أن عدد الفهارس التي فيها تسمية الكتب أربع وأربعون فهرسة، في كل فهرسة عشرون ورقة، ليس فيها إلا ذكر أسماء الدواوين لا غير(1)"

وكانت مكتبات المساجد وفهارسها من مظاهر النشر التراثي البارزة على مدار التاريخ الإسلامي لما للمساجد من مكانة موقرة في النفوس، فضلا عن اجتماع عامة الناس بها وهو ما جعلها محلا مناسباً لإيواء المجموعات الخطية بفهارسها المنظمة لمحتوياتها "وكان التاج الكندي من علماء دمشق الكبار...وكان له في جامع بني أمية مقصورة يدرس بها اسمها المقصورة التاجية...وكان في هذه المقصورة خزانة عامرة، وجد أبو شامة المؤرخ فهرسها بخط التاج الكندي، فكانت عدتها سبعماية وواحد وستين كتاباً(2)" وكانت فهرس المكتبات أشبه بما يُعرف عند المفهرسين بالقوائم أو فهرسة الدرجة الأولى؛ في كثير من الأحيان، إذ يذكر اسم المؤلف واسم الكتاب وعدد أجزائه إن تعددت، وأولوا المصاحف عناية أكثر من غيرها من حيث التجليد والخطوط وأقلام الكتابة والزخرفة مع ذكر جميع تلك البيانات في الفهرس.

بدايات ظهور الفهارس في التراث العربي:

ظهر فهرست النديم في القرن الرابع الهجري، إلا أنه من المنطقي أنه لم يطفّر فجأة، وإنما كان تتويجا لمرحلة من النمو الثقافي الممتد لزمان طويل، وقد سبقته بعض الأعمال الفردية التي حملت عليها الضرورة، إذ صنع بعض العلماء والأدباء وهواة القراءة لمجموعاتهم الخاصة فهرس تنظم محتوياتها وقد ذكر النديم نفسه في كتابه فهرساً للرازي دون فيه محتويات مكتبته.

ثم تلا ذلك فهرس المكتبات كفهرس مكتبة الحكمة ببغداد ثم ظهر فهرست النديم في القرن الرابع بهيكليته المتقنة التي لم تُسبق من قبل ثم تلاه بعد ذلك في الفترة ما بين الفهرست في القرن الرابع وكتاب مفتاح السعادة ومصباح السيدة لطاش كبرى زاده في القرن العاشر الهجري ما يُعرف باسم برامج العلماء وفهارس الشيوخ "والبرنامج هو عبارة عن كتاب يسجل فيه مؤلفه المؤلفات التي قرأها والشيخ الذي قرأ عليه أو أجازه

¹ - أحمد بن محمد المقرئ التلمساني (شهاب الدين) (1900) م فتح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، ت: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، الجزء: 1، ص: 385.

² - صلاح الدين المنجد (1976)، قواعد فهرسة المخطوطات العربية، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط: 2، ص: 17.

فمها، وغير ذلك من المعلومات... وهذا النوع من التأليف متفرع أصلاً عن علم الحديث... ولعل السبب في كثرة ظهور كتب برامج العلماء خلال هذه الفترة التي تلت الفهرست هو شيوع عادة الرحلات العلمية والبحث عن الإجازة العلمية من جانب كثير من طلبة العلم حينذاك... وكان يطلق على هذا النوع من الأعمال الببليوجرافية مسميات عديدة مثل "تَبَّت" و"معجم" و"مشيخة" و"فهرس" و"برنامج" لدى المغاربة والأندلسيين... ومن أهم كتب برامج العلماء... "برنامج ابن مسعود الخشني" ت544هـ، و"فهرسة ما رواه الأشبيلي عن شيوخه من الدواوين" لابن خير الأشبيلي (ت575) هجرية... و"برنامج الوادي آشي" لأبي عبد الله محمد بن جابر الوادي آشي ت749 هجرية(1)

أمثلة من الأعمال الببليوجرافية العربية القديمة:

- الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم. محمد بن اسحق النديم ت 385 هجرية وهو أول عمل ببليوجرافي يتناول المؤلفات العربية والمترجمة بطريقة منظمة "ويشتمل هذا الكتاب على قرابة 6400 عنوان من المؤلفات في عصر المؤلف، قسم النديم كتابه إلى عشرة أبواب كبيرة سماها مقالات، فرعاها إلى فنون بلغت 32 فنا، مع ذكر أسماء العلماء الذين اشتهروا في كل فن من هذه الفنون(2)"
- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، أحمد مصطفى (طاش كبرى زادة ت968 هجرية). وهذا الكتاب إضافة إلى صفته الببليوجرافية فقد ضمنه مؤلفه مقدمات نافعة عن تاريخ العلوم عند المسلمين.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: مصطفى بن عبد الله (حاجي خليفة) ت 1068 هجرية. كتاب ببليوجرافي جامع يعتبر أشمل الأعمال الببليوجرافية حتى تاريخ تأليفه حيث جمع فيه مؤلفه أكثر من أربعة عشر ألف كتاب... وبرغم قيمة الكتاب العلمية فقد وقع مؤلفه في أخطاء لا يسلم منها مثل هذا العمل الضخم مثل

¹ - سعود بن عبد الله الحزيمي(1990) المراجع العربية، دراسة شاملة لأنواعها العامة والمتخصصة. ص: 322، طبعة الإدارة العامة للبحوث.

² - عبد العزيز المسفر(1999) المخطوط العربي وشيء من قضاياه، دار الميراث للنشر، الرياض، ص: 164.

نسبة بعض المؤلفات إلى غير أصحابها والخطأ في تحديد سنى الوفيات... وقد تولى تذييله خلال القرون التالية... وممن ذيله إسماعيل باشا البغدادي ت 1339 هجرية، صاحب كتابي "إيضاح المكنون" و"هدية العارفين"⁽¹⁾.

ومن الببليوجرافيات الحديثة:

1. تاريخ الأدب العربي: وقد وضعه المستشرق الألماني كارل بروكلمان باللغة الألمانية ويعد من أهم الكتب نظراً لما يحتويه من عناوين المخطوطات العربية وقد ظهر الكتاب عام 1898م في مجلدين ... وترجم بعض الكتاب إلى اللغة العربية في ستة أجزاء.

2. تاريخ التراث العربي "بالألمانية". إعداد: فؤاد سزكين- وهو عالم تركي مسلم يقيم في ألمانيا وقد مضى فيه على منهج بروكلمان مع تصحيحات وإضافات كثيرة وكان بدء صدوره 1967م⁽²⁾.

الفهارس الإلكترونية:

ساعد التقدم التكنولوجي في نشأة الفهارس الإلكترونية والتي تجنبت كثيراً من عيوب الفهارس المطبوعة مثل سهولة وسرعة التداول وإمكانية البحث الفائقة عن جميع المدخلات المطلوب البحث عنها ولا سيما فيما يتعلق بتداول المعلومات خارج حدود الدول ما ييسر عملية البحث والاستقصاء عن المخطوطات ويوجد على شبكة الإنترنت العديد من الفهارس الإلكترونية التي تساهم بدور فاعل في حفظ وتداول المخطوطات والتراث وتسمح بالتفاعل البحثي المباشر بين المتخصصين في المخطوطات فهرسة وتحقيقاً وحفظاً.

أشكال الفهارس:

تعددت أشكال الفهارس غير أن أكثرها استعمالاً الفهرس المطبوع على هيئة كتاب والفهرس الإلكتروني الناشئ مع التقدم التكنولوجي، وقد يتكون الفهرس المطبوع من مجلد واحد أو أكثر وله مميزاته وعيوبه، "فمن مميزاته: صغر حجمه، وكثرة نسخه المطبوعة وسهولة استخدامه في أي مكان بالمكتبة ويستطيع أكثر من باحث أن

⁽¹⁾ المراجع العربية، دراسة شاملة لأنواعها العامة والمتخصصة. سعود بن عبد الله الحزيمي. ص 320، طبعة الإدارة العامة

للبحوث، 1990

⁽²⁾ فهرسة المخطوطات العربية. عابد سلمان المشوخي " ص 262. مكتبة المنار.

يستعمله في وقت واحد، ومن عيوبه: تكاليف الفهرس في الطباعة والوقت والجهد، ولا يدل على مقتنيات المكتبة الفعلية بعد صدوره فلا يستخدم إلا لفترة معينة، ويصعب التغيير فيه مثل الإضافة أو الحذف أو التعديل فمادته ثابتة لا تتغير⁽¹⁾ كما يوجد أيضاً الفهرس البطاقي، ولكنه يكاد يكون قد اندثر نظراً لعيوبه الكثيرة، إذ يُمثّل كل مخطوط ببطاقة، وتكون قابلة للضياع ولا يصلح للاستخدام من قبل أكثر من فرد في وقت واحد وهو ما يضيع وقت الباحثين "ويلاحظ أن الفهارس البطاقية لا يمكن الاستفادة منها خارج حدود مكتباتها، مثل حالة الفهرس البطاقي للمكتبة السلিমانيّة باستانبول(2)"

ثم الفهرس الإلكتروني.. وهو أفضلها جميعاً: نظراً لقلّة التكلفة وسهولة الاستخدام من أي مكان ولأكبر عدد ممكن من الأفراد في ذات الوقت، كما ييسر عملية التبادل المعرفي بين الفهارس المختلفة للباحثين في كل مكان، إضافة إلى تيسيره عملية الإحصاء لأي حقل دلالي في الفهرس كعرفة أسماء الناسخين أو تواريخ النسخ أو التملكات والسماعات وغيره.

المبحث الثاني: أنواع الفهارس وفوائدها

لا يخفي علينا أنه بدون الفهارس للمكتبات يصير الباحث كمن يتحسس خطاه بليل مظلم لا يستطيع الوقوف على مبتغاه بيسر وسهولة. وإذا كان رصيد المخطوطات يمثل ثروة وطنيه بما يضمه من فكر يجب الحفاظ عليه وصونه والانتفاع به فإنه من الضروري الكشف عن هذا الرصيد وإتاحته للباحثين والدارسين بالطريقة التي تمكن من الاستفادة منه ومن هنا تبدأ أهمية الفهرسة للمخطوطات وتصنيفها.

وقد تعددت أنواع فهارس المخطوطات وفقاً لمقدار الأهمية التي تتبدى لمعد الفهرس فيما يتبين له من مواصفات المجموعة الخطية التي يصفها، ومن هذه الأنواع، فهرس الموضوعات، فهرس العنوان، فهرس المؤلف، فهرس الموضوع، فهرس باسم الناسخ،

1 - عزت ياسين أبوهية (1989) المخطوطات العربية، فهارسها وفهرستها ومواطنها في جمهورية مصر العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص: 22

2 - التجارب العربية في فهرسة المخطوطات، تحرير: فيصل الحفيان، معهد المخطوطات العربية، مقال ل د: أيمن فؤاد سيد 1998، ص: 60.

فهرس تاريخ النسخ، فهرس المخطوطات الأصول، ولكل من هذه الأنواع فائدته التي تتجلى فيه أكثر من غيره.

فهارس الموضوعات وفهارس العناوين؛ يمكننا من معرفة حقيقة ترتيب درجات الاهتمام بالتراث العربي، وذلك بإحصاء نسبة العناوين في كل فن إلى المجموع الكلي، ومثالا على هذا الدراسة التي أعدها الدكتور السيد السيد النشار للمخطوطات الموجودة بجمهورية مصر العربية، بعنوان (في المخطوطات العربية) فنجد أنه "تتفوق مجموعة المخطوطات في مجال الديانات حيث جاءت هذه المجموعة في الترتيب الأول...وتحتل المخطوطات العربية في مجال اللغات ومعظمها كتب في النحو والصرف والبلاغة والعروض المرتبة الثانية...تلها مجموعات الآداب ومعظمها دواوين شعرية...في الترتيب الثالث...وتمثل مجموعات الجغرافيا والتاريخ والتراجم المرتبة الرابعة...وأما الترتيب السادس والسابع والثامن فجاء بنسب متفاوتة على التوالي العلوم البحتة من فلك وكيمياء وفيزياء وجبر وحساب⁽¹⁾"

وأما فهرس المخطوطات الأصول فيفيدنا في الدراسة الكوديكولوجية؛ إذ لا تنبني دراسة نافعة وثرية في هذا الباب إلا بالمخطوطات الأصول " كما أنه يساعد في الإشارة إلى النسخ الأصول التي لا يسوغ نشر الكتاب دون الرجوع إليها؛ إن وجدت⁽²⁾" وفهارس الكتب الموقوفة توقفنا على تقييم صحيح للحالة المعرفية في مناطق جغرافية بعينها؛ إذ من المعلوم أن بعض المهتمين بالمطالعة والقراءة واقتناء الكتب قديما كانوا يتبارون فيما بينهم لحيازة أفضل النسخ في مختلف العلوم ومختلف المؤلفين، وبالوقوف على هذا النوع من الفهارس ندرك أي العلوم كان أحظى بالانتشار والمدارس " وهذا النوع من الفهارس قد لا يكون قائما بنفسه في كتاب واحد فقد يكون ضمن كتاب الوقف مع أوقاف أخرى، وقد يكون كتاب الوقف كله قائما على ذكر ما أوقف من الكتب...ومثالا لهذا كتاب وقف أسعد باشا العظم والي دمشق على مكتبة والده اسماعيل باشا العظم في سنة 1165 هجرية⁽³⁾"

1 - السيد السيد النشار (1997) في المخطوطات العربية، دار الثقافة العلمية، الاسكندرية، ص: 125.

2 - تامر الجبالي (2011) فهرس المخطوطات الأصول، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ص: 10.

3 - صلاح الدين المنجد (1976)، قواعد فهرسة المخطوطات العربية، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط: ثانية، ص: 30.

وبالنسبة لفهارس تواريخ النسخ والتأليف؛ فإنها تساعد على استدعاء الظرف التاريخي الذي كتب خلاله المخطوط وهو ما يفيد في نواح بحثية ومعرفية عديدة " وقد يتم ربط تاريخ النسخ بحدث هام وقع في فترة نسخ المخطوط؛ مثال ذلك: مخطوط (حاشية على شرح السنوسي لمقدمته أم البراهين في العقائد تأليف محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي) كُتب في خاتمته (كان الفراغ من هذه النسخة عام 1214 هجرية، ثاني عام استيلاء الفرنسيين على مصر وكان الفراغ من نقل هذه النسخة من نسخة المؤلف عام 1216 هجرية عام خروج الفرنسيين من مصر⁽¹⁾)" فضلا عن ذلك فإن فهرس التواريخ يوقفنا على فائدتين عظيمتين " أولاهما أنه يعطي المقومات الأساسية لما يسمى بتاريخ النصوص، وثانيتهما أنه يساعد على تقدم الدراسات المتعلقة بالمخطوط القديمة⁽²⁾" وهي فوائد جلية لا تيسر سوى بمثل هذا النوع من الفهارس وإلا صعب الوقوف عليها. وفهارس المؤلفين تمكننا من تحديد أولوية المؤلفين الذين يجب إدراجهم قبل غيرهم في مسألة التحقيق؛ حسب طبيعة تخصص المحقق واهتماماته التراثية؛ فيوفر مزيدا من الجهد والوقت، كما أنه يوقفنا بسهولة على جميع ما ينسب لمؤلف واحد في مكتبة بعينها

وفهارس النوادر والمخطوطات الأقدم كفهرس كوركيس عواد توقفنا بسهولة ويسر على الفوائد والمخطوطات الأكثر أهمية من غيرها.

وبالجملة فإنه؛ رغم أن بعض المخطوطات يطلب باسم المؤلف أو بعنوان المخطوط فإن نسبة كبيرة من الباحثين يرغبون في معرفة المخطوطات الموجودة بمكتبة ما عن موضوع معين ومن هنا تبدو أهمية تجميع المخطوطات المتعلقة بالموضوع الواحد معا حتى ييسر الوصول إليها والاستفادة منها.

1 - محمد حلمي إبراهيم، أحمد هجعت أحمد، ياسمين حسن محمد (2012) فهرسة المخطوطات العربية بين النظرية والتطبيق، مراجعة: عبد الستار عبد الحق الحلوجي، مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع، القاهرة، ط: أولى، ص: 64.

2 - أحمد شوقي بنين (2004) دراسات في علم المخطوطات والبحث الببليوجرافي، المطبعة والوراقة الوطنية الحلي المحمدي، مراكش، ط: الثانية، ص: 85.

كما أن تصنيف المخطوطات العربية الإسلامية يظهر العلوم والمعارف التي اهتم بها العرب والمسلمون وألفوا فيها أعمالهم على مدى قرون عديدة. ومن أهم فوائد الفهارس وتعددتها هو استدراك أخطاء النساخ العامة أو غير المقصودة في نسبة المؤلفات إلى غير أصحابها. أو في تغيير عناوين المؤلفات بمقارنة النسخ المتعددة لكتاب واحد تتواتر الأدلة على أصح ما يمكن الوصول إليه سواء في اسم المؤلف أو عنوان المخطوط، وبقية البيانات حيث تاريخ النسخ وصحة نسبة هذه النسخة إلى زمن بعينه وفضلاً عن أخطاء النساخ أيضاً استدراك أخطاء الفهرسة ومدخلي البيانات بصورتها النهائية لعرضها على الباحثين، حيث إن مهنة الفهرسة ليست عملاً إدارياً فحسب بل تتطلب هواية نابعة من اهتمام خاص وتعلق بها عميق ودربة وتجربة طويلة المدى فإن عدم توافر هذه الصفات في المهرس يجعله عرضة للمثالب التوثيقية التي تشوب توثيق اسم المؤلف أو عنوان المخطوط أو تاريخ النسخ وبقية البيانات.

فمن هنا تأتي أهمية تعدد الفهارس ومثال على ذلك "مفهرس وضع كتاب المثلث أو المثلثات لقطرب المتوفي 206 هـ في العلوم الرياضية مع الهندسة والحساب وهو في اللغة وآخر وضع كتاب "إصلاح المنطق" لابن السكيت في علم الفلسفة والمنطق وهو في اللغة. وآخر وضع كتاب "سر الصناعة" لابن جني وكتاب "الصناعتين" لأبي هلال العسكري في الحرف والصناعات. في حين أن الأول في صناعة الإعراب. والثاني في صناعة النظم والنثر فهو في البلاغة والنقد⁽¹⁾"

وفي فهرس دار الكتب المصرية ذكر أحد المفهرسين كتاب "إعراب وشرح مغني اللبيب لمحمد الأمير الأزهرى" تاريخ النسخ 761 هـ والواقع أن محمد بن محمد بن أحمد النباوي المالكي الشهير بالأمير قد توفي سنة 1232 هـ فمن غير المعقول أن يكون كتابه قد نسخ في سنة 761 هـ هجرية التي هي سنة وفاة ابن هشام مؤلف كتاب "مغني اللبيب"⁽²⁾.

¹ - المخطوطات العربية في الغرب الإسلامي؛ وضعية المجموعات وآفاق البحث، مقال للأستاذ عصام الشنطي بعنوان "المخطوطات العربية: أماكنها، الاشتغال بها-فهرستها وتصنيفها ومشكلاتها، مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء، ص: 210.

² - مجلة عالم الكتب، مجلد 15، العدد الثالث، يونيو 1994، ص 239.

كما أن تعدد الفهارس يوقفنا بحزم على الحالة الحقيقية والتوصيف الدقيق للمخطوط من حيث النفاسة والندرة. فمثلاً في العراق وفي ذكر المخطوطات النفسية في المكتبة العباسية "يقول الخبير إن (كتاب الهواتف في سلوك العوارف لابن أبي الدنيا) نسخة فريدة ونفيسة، كتبت في سنة 885هـ وهنا يجب أن نعلم أنه قد تكون النسخة نفيسة أما أنها فريدة فلا. فقد ذكر بروكلمان نسخة أخرى منها في القاهرة. وهنا لولا ما ذكره. بروكلمان لثبت ما ذكره م فهرس المكتبة العباسية مع أنه غير صحيح حيث أن التفرد والندرة لهما معايير تراعي عند التوصيف. وفي وصف فهارس جامعة البصرة نسب الخبير (المفهرس) كتاب (اختلاف الحديث) للإمام الشافعي والصواب أنه كتاب (اختلاق الأحاديث) والفرق هائل بين العنوانين(1)" ومثل هذا الخطأ يدرك بتعدد الفهارس أو علم المفهرس.

كما تُعرف الفهارس بالمجموعات الخطية المجهولة الموجودة في أماكن متفرقة من العالم خاصة الدول غير الشهيرة على خريطة البحث العلمي في مجال المخطوطات مثل بعض دول إفريقيا كبور كينا فاسو وبروناي وغيرها "والحقيقة التي يعلمها المشتغلون بالتراث؛ أن الثعب لا يكون إلا في المكتبات غير المفهرسة، وذلك يعني أن الفهرسة تساعد على حفظ المخطوطات وعدم تعرضها للضياع، فما هو معروف يصعب سرقته، وإذا سُرق فإن لدينا أوصافه الدقيقة التي قد تمكننا من استعادته(2)" وتساعدنا على تغطية أكبر عدد ممكن من المكتبات الخاصة والتي يحول أصحابها دون الوصول إليها.

وهنا أختتم بما ذكره عمدة المحققين العلاقة عبد السلام هارون إذ قال "لو كان لي من الأمر شئ في الدراسات العليا بالجامعات العربية لجعلت موضوع الماجستير والدكتوراه فهرسة كتاب من كتب التراث فهرسة تفصيلية كاشفة، فإذا فهرست كتب كل فن من فنون التراث على هذا النحو الكاشف الجامع أمكن لنا أن نقدم صورة حقيقية لفكرنا العربي الإسلامي.

¹ - المصدر السابق نفسه، ص: 240.

² - محمد فتحي عبد الهادي (2010) الدليل الإرشادي لفهرسة المخطوطات العربية، معهد المخطوطات العربية، مصر، ص: 22.

المبحث الثالث: كثافة المجموعات الخطية حول العالم؛ أسباب وفرتها وندرتها لكل قُطر في المحيط العربي حظه من التراث المخطوط، الذي يعتبره جزءاً من ثروته القومية، ولا يفرط فيه تحت أي ظرف من الظروف، وهذا الوعي بقيمة التراث لم يبرز بجلاء إلا متأخراً بسبب سيطرة الاحتلال الغربي لمنطقة الشرق وإفريقيا لما يقارب القرن من الزمان في بعض الأماكن، وحظ كل بلد من التراث يزداد ويقل حسب مجموعة عوامل وأسباب؛ ومن هذه العوامل:

أولاً: العامل السياسي؛ وهو ما يتضح بجلاء في حالة كل من تركيا ومصر والعراق، فإن تركيا تستأثر وحدها بنصيب كبير من مخطوطات التراث العربي، المكتوبة بلغة عربية، لمؤلفين كثير منهم نشأ وتحدث في بلاد عربية، ولما كانت الدولة العثمانية هي صاحبة السلطان على قطاع كبير من الدول العربية قبل انحسار الخلافة العثمانية بعد زمن السلطان عبد الحميد، فقد كان يُحمل إليها كنوز وعيون التأليف في شتى صنوف التراث العربي بصفتها الدولة المركزية، وبعد استقلال الدول التابعة لها وفقاً للظروف السياسية الغالبة في بدايات القرن العشرين، فقد احتفظت تركيا بما لديها من مجموعات خطية وضعتها على مصاف الدول الحائزة على الثروات الخطية للتراث المشرقي والعربي، هذا فضلاً عن اهتمام الأتراك أنفسهم بالتراث المعرفي الإسلامي النابع من كونهم مسلمين يرغبون بتداول ونشر معارفهم "ويمكننا القول بلا تردد أن كل سلطان أو صدر أعظم أو قائد كبير قد بنى في استانبول خاصة وفي سائر الممالك العثمانية عامة مسجداً وبالقرب منه مدرسة ومكتبة تابعتين له، ولما اضطرت الدولة العثمانية بعد القرن السابع عشر الميلادي إلى مدافعة قسم كبير من العالم الإسلامي ضد عدوان أوروبا طرأ على هذه المؤسسات نوع من الإهمال...وحسب إحصاء سنة 1311-1312 المطبوع في استانبول من قبل وزارة المعارف في سنة 1318 فقد ثبت أنه كان موجوداً في المملكة العثمانية ما عدا استانبول 272 مكتبة تحتوي على 76773 نسخة مخطوطة⁽¹⁾"

¹- أحمد آنشي، المخطوطات العربية في مكتبات الأناضول، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الرابع، الجزء الأول، مايو 1958، ص: 3.

وقد تضاعف هذا العدد في خزائن ومكتبات تركيا حتى أصبحت البلد الوحيد الذي يضم أكبر عدد من المخطوطات الإسلامية في مختلف العلوم وإذا صرفنا النظر عن الأوراق والدفاتر المحفوظة في دور الأرشيف "فنستطيع أن نقدر عدد المخطوطات الموجودة في مختلف أنحاء تركيا بـ 250.000 مجلد، كما نستطيع أن نقول بالشكل التقريبي إن أكثر من 160.000 مجلد من هذه المخطوطات هي باللغة العربية... ولا نبالغ إذا قلنا إن إستانبول هي المدينة الأولى في العالم من حيث ضخامة عدد المخطوطات الإسلامية التي تضمها، وتضم إستانبول مكتبة السليمانية ومكتبة فاتح ملت ومكتبة متحف طوب قايي ومكتبة جامعة إستانبول وغيرها، وهي كلها مراكز تحتوي على مجموعات عديدة من المخطوطات (1).

وأما في مصر؛ فلا تقف الظروف السياسية الصرفة وحدها خلف العدد الباقي بها من المخطوطات، بل أيضا عامل الجغرافيا السياسية إذ تعتبر مصر بموقعها الجغرافي المتميز معبرا بين دول ومناطق الشرق القديم، وهو ما جعلها مستقرا لكثير من العلماء والباحثين في رحلاتهم العلمية لفترات طويلة وأحيانا للإقامة الدائمة، كما أن دورها السياسي منذ القدم انعطف على الحالة العلمية والثقافية، فحظيت رغم الفقد والضياع لكثير من المخطوطات بما لم يحظ به غيرها، ولذلك فإننا نجد أن مصر تحتل المركز الثالث بعد تركيا وإيران من حيث عدد المجموعات الخطية التي تمتلكها إذ تبلغ المخطوطات العربية والشرقية في مصر ما يزيد عن 125 ألف مخطوط، تتوزع هذه المجموعات على مكتبات مصر المختلفة في أنحاء ربوعها "وأكثر هذه المجموعات هي مجموعة دار الكتب المصرية والتي تبلغ نحو 55 ألف مخطوط تعد من أقيم المجموعات العالمية وأنفسها بتنوع موضوعاتها وخطوطها المنسوبة ومخطوطاتها المؤرخة أو التي بخطوط مؤلفيها أو بخطوط العلماء. وأيضا بوفرة عدد ضخ من

1 - مقال منشور للدكتور رمضان ششن، رئيس شعبة التاريخ / كلية الآداب / جامعة مرمرة، إستانبول وعنوانها على الرابط التالي:

<http://www.attarikh-alarabi.ma/Html/adad21partie1.htm>

المصاحف الشريفة والربعات وبعضها على الرق يرجع أقدمها إلى عام 77هـ وهو مصحف منسوب إلى الإمام الحسن البصري⁽¹⁾.

وتعتبر مكتبة دار الكتب المصرية من كبريات مكتبات العالم، فقد أنشئت عام 1870 م... وفي سنة 1876 م ضمت إلى الدار مكتبتى قوله ومصطفى فاضل، وكان لعلى مبارك مدير المعارف في ذلك الوقت الفضل الأكبر في جمع المخطوطات النفيسة من كل مكان سواء من المساجد أو الأضرحة أو دور العلم لضمها لدار الكتب المصرية⁽²⁾.

وقد أضيف إلى رصيد دار الكتب من المخطوطات ما تحويه مكتبات وزوايا أخرى ضاعف ما تحويه.

وأما عن المجموعات الخطية بالعراق؛ فتعتبر العراق من قديم الزمان من أظهر الأمثلة على طغيان العامل السياسي على الموروث الثقافي؛ نظرا لثقلها السياسي وتموجها الأيديولوجي، فالتاريخ يذكر " أن غارات التتر والمغول المتتابعة على العالم الإسلامي بقيادة جنكيز خان وتيمور لنك وهولاكو كان لها أثرها السيئ على هذه المخطوطات حتى إنه عندما انهارت بغداد تحت وطأة هولاكو عام 656 هـ - 1258 م أُلقيت المخطوطات بنهر دجلة إلقاءً، أقام قنطرة في النهر اسودت منها المياه حولها لفرط ما انتشر من مدامها⁽³⁾" ورغم أن هذه الفاجعة تخص العالم الإسلامي كله، إلا أن المجموعات الخطية غالبا ما تنتسب للمحل الجغرافي الذي تقيم فيه، وتمثل العراق ركناً مكيئاً في التراث والحضارة العربية والإسلامية في جميع الجوانب ولا سيما الجانب العلمي والتراثي، وقد حوت مكتباتها العامة ومكتبات علمائها مخطوطات لها قيمة تراثية وعلمية فريدة ونادرة.

وقد توزعت ثروة العراق حديثاً من المخطوطات على العديد من المكتبات ومنها "مكتبة المتحف العراقي؛ وقد أنشئت سنة 1933 م، وأهدى إليها مجموعات خطية منها: مخطوطات مكتبة الأب أنستاس ماري الكرمل. وتبلغ 1335 مخطوطة سنة

2- عزت ياسين أبوهية : المخطوطات العربية، مرجع سابق، ص 231.

3- <http://www.darelkotob.gov.eg/ar-eg/pages/Home.aspx> بتاريخ 2014/2/19

1- علي الخطيب(1983) تراثنا المخطوط من التأليف إلى الوراقة، هدية مجلة الأزهر، القاهرة، ص: 16.

1950...وقام الأستاذ أسامة النقشبندى بإعداد فهارس لما تحويه مكتبة المتحف العراقي من مخطوطات وصنف فيها 5991 مخطوطة⁽¹⁾.

ويذكر أن العراق بدأت بعد عام 1991 بتمويل عملية كبيرة لشراء المخطوطات من المكتبات حتى جمع منها 47 ألف مخطوطة تحمل 150 ألف عنوان في مختلف العلوم كانت توضع في 82 خزانة وموزعة بين مخطوطات المجمع العلمي العراقي ومخطوطات الجامعات العراقية (البصرة - الموصل - بغداد - المستنصرية) والمكتبات المركزية وتم نقلها جميعاً إلى دار المخطوطات ثم تم تصويرها بالميكروفيلم في 10 ملايين صفحة بالإضافة إلى وضع مجموعات أخرى على الأقراص المدمجة وتمت هذه العملية خلال عام⁽²⁾.

وتعد العراق ومالي في العصر الحديث من أكثر الأمثلة على تضرر مجموعات المخطوطات بالظروف السياسية بشكل مباشر حيث تعتمد الجهات المتحاربة للوقوف على أركان التراث لدى بعضها فتصبح الهدف الأول في قائمة المطلوب الاستيلاء عليه ويمر زمن طويل حتى يتم الوقوف على وجهة هذه المخطوطات ومستقرها، فمن المعلوم أن القوات الأمريكية عندما احتلت العراق سنة 2003 م عمدت إلى خزائن المخطوطات فانتهبت كثيراً منها بدعوى حمايتها، ولا يُعلم على الحقيقة مصيرها.

ثانياً: عوامل استشرافية

حظى التراث العربي المخطوط بعناية المستشرقين منذ زمن مبكر، فتسابقوا على اقتنائه وفهرسته ونشره وتحقيقه وتدوين الدراسات العلمية في موضوعاته؛ تعليقا ونقدا، تحت أغراض عديدة، لكن المتفق عليه عند أغلبهم أن تراث العرب هو مادة جديرة بالتوقير "فهذا فالدو ميبلي الإيطالي تحدث عن مناهج العرب العلمية في أثناء حديثه عن المعتزلة وعن ابن الهيثم، وألف المستشرق روزنتال "مناهج العرب المسلمين

2- للمزيد : راجع كتاب صناعة المخطوط العربي الإسلامي من الترميم إلى التجليد، ص 559

3- مقال منشور بجزيرة الأهرام الإلكترونية بتاريخ 2004/11/14، عدد رقم 43077

في البحث العلمي وعالج "جون فوك" في كتابه (العربية) مناهج عدد من الأدباء العرب وعلى رأسهم الجاحظ⁽¹⁾

وقد تبارت الدول الأوروبية في شراء وحياسة المخطوطات العربية حتى أصبح رصيد المكتبات الغربية من نوادر وكنوز التراث العربي لا يقل حجما ونوعا عما تبقى في مكتبات الدول العربية "وبدأ ذلك في اسبانيا خلال الحكم العربي حيث ترجمت كتب (مخطوطات) كثيرة في شتى مناحي العلوم مثل الطب والفلسفة والأدب واللغة والتاريخ وغيرها، وشاع هذا الاهتمام قبل النهضة الأوروبية(2)"

ولعل الإفادة العلمية من التراث العربي كانت أحد أهم الدوافع لاهتمام المستشرقين به "فلقد كانت المخطوطات العربية المترجمة إلى اللغات الفرنسية و الإنجليزية والألمانية أساسا للدراسات والتدريس في الجامعات الأوروبية...وبين الدكتور جوزيف هاريز joseph Hariz الذي كان طبيبا في باريس في أوائل القرن العشرين، وعضوا في الجمعية الآسيوية، الفضل الكبير للأثار العلمية الطبية العربية في تقدم وتطور الطب في فرنسا، وذلك من خلال مؤلفه القيم (دور الطب العربي في تقدم الطب في فرنسا) ونال بهذا البحث درجة الدكتوراة في الطب من جامعة باريس(3)"

ورغم الفائدة العلمية الواضحة من نشر التراث العربي على يد مستشرقين إلا أن جميعهم لم يكونوا على نفس الدرجة من حسن النوايا في تعامله مع التراث درسا ومناقشة وتحقيقا وإنما تعداه إلى التماس المزالق واستظهار العوار من باب المكر والكراهية وليس مجرد الدراسة العلمية، ومن خلال تحليل أعمال المستشرقين يمكن تقسيم توجهاتهم على النحو التالي "الطائفة الأولى: طائفة قصرت إلى التعرف على أثر الفكر والتراث العربي والإسلامي على الحضارة الغربية، والطائفة الثانية: تلك التي اهتمت بالتراث العربي الإسلامي للتعرف على مدى تأثير الحضارة الأوروبية عليه، والطائفة الثالثة: طائفة وقفت موقف العداء للتراث وأهله وحاربه محاربة علنية

¹ - محمد التونسي، المنهج في تأليف البحوث وتحقيق المخطوطات، عالم الكتب، بدون بيانات نشر، ص:20.

² - عادل سليمان جبال، جهود المستشرقين ومناهجهم في فهرسة المخطوطات، ص:239، مقال ضمن أعمال كتاب "فن فهرسة المخطوطات، مدخل وقضايا، تحرير د/فيصل الحفيان، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، 1999م.

³ - ساء زكي المحاسني (1999م) دراسات في المخطوطات العربية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ص:30.

وسرية، والطائفة الرابعة: تلك كانت منصفة إلى حد ما، لأنها تؤمن أن صناعة الفكر الحضاري مهمة للإنسانية جمعاء(1)"

وقد اهتم الأوروبيون بوضع فهارس للتراث العربي الإسلامي منذ القرن الثامن عشر الميلادي " وفي إيطاليا كانت أسرة السماعنة المارونية أول من تصدى لفهرسة التراث العربي المخطوط، سواء في مكتبة الفاتيكان (Vatican) أو في غيرها من المكتبات، فكان يوسف شمعون واضع أول فهرست لمخطوطات الفاتيكان، وتبعه في هذا العمل ابن شقيقه عواد السمعاني الذي فهرس كلا من مكتبة الفاتيكان والمكتبة الطبية بمدينة فلورنسا(2)"

وفي إسبانيا فإن مجموعة مخطوطات مكتبة الإسكوريال تحظى بشهرة واسعة بين المكتبات الأوروبية خاصة فيما يتعلق بمجال المخطوطات وذلك لما تحويه من كنوز تراثية من حيث عدد المخطوطات بها أو من حيث القيمة العلمية والتراثية لهذه المجموعة، ومن أشهر الفهارس التي صنعت لمجموعات الإسكوريال هو فهرس ميخائيل الغزيري الذي صنفه باللاتينية في مجلدين وقد تم ترجمته إلى العربية بعنوان (المكتبة العربية الإسبانية في الإسكوريال)..."وعول على أن يقوم بعمل جديد أصيل لم يسبقه إليه أحد وقضى الغزيري زهاء عشرة أعوام في دراسة المجموعة الاسكوريالية، واتبع في وضع فهرسه قاعدة التركيز وهي تدور حول المواد والتحليلات، وجرى على أسلوب الاقتباسات الموجزة والمطولة في إبراز قيمة المخطوطات ذات الأهمية الخاصة، وأصدر الغزيري في سنة 1760 م الجزء الأول من فهرسه اللاتيني(3)

ولم يكن الغزيري هو صاحب السبق في فكرة إعداد فهرس للإسكوريال فقد سبقته عدة محاولات لترتيب وتبويب هذه المجموعات؛ "فبناءً على رأي B. Justel (خوستيل)، يُعد "فهرس الكتب العربية الموجودة في مكتبة سان لورينثو الملكي (الإسكوريال) وفقاً للأبجدية العربية" هو فهرس الإسكوريال الأولى الأكثر اكتمالاً فهو عبارة عن فهرس

¹ - علي إبراهيم الغلثة (1996) إسهامات المستشرقين في نشر التراث العربي الإسلامي، دراسة تحليلية ونماذج من التحقيق والنشر والترجمة، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط:أولى، ص:34.

² - أحمد شوقي بنين(2004) دراسات في علم المخطوطات والبحث البيبليوجرافي، مصدر سابق، ص: 92.

³ - عبدالفتاح مصطفى غنيم: صناعة الكتاب المخطوط عند المسلمين، دار الفنون العلمية، 1994، ج3، ص343.

ثنائي اللغة، الإسبانية والعربية، لأغلب المخطوطات التي شكلت المجموعات العربية في الإسكوريال... ويبدو أن من ألفه هو "Diego de urea" نحو سنة 1598. وفهرس آخر قام به مكتبي يدعى "أليخوس" حيث قام بعمل فهرس بعنوان "فهرس المطبوعات والمخطوطات في مكتبة الإسكوريال"، يوجد هذا المخطوط ضمن مخطوطات مكتبة الإسكوريال تحت رقم K.I.14-16 عن هذا الفهرس يقول "أنطولين" أن "أليخوس" بدأ فيه في الخامس من أكتوبر 1603... وقد قام أليخوس بعمل يعد من أهم الأعمال في المكتبة الإسبانية وهو الفهرس الكامل، المرتب حسب العلوم للمحتوى الثري والمتنوع الموجود في مكتبة الإسكوريال والذي يتجاوز 25000 مجلد مطبوع ومخطوط في شتى الفنون⁽¹⁾.

وبهذا يتضح أن مجموعة الإسكوريال قد حظيت باهتمام بالغ كان فهرس غزيري فيها هو واسطة العقد استدرك عليه من أتى بعده كدربنبرغ وبروفنسال وغيرهم، ثم انتشرت الفهارس بعد ذلك في الدول الأوروبية التي توفرت بها مخطوطات عربية كبريطانيا وألمانيا وهولندا وغيرها من الدول، ومن الجدير بالذكر أن الفهارس الأوروبية تذكر المخطوطات العربية والشرقية المكتوبة باللغات الفارسية والتركية والسريانية. وبالنسبة لمجموعات المخطوطات العربية والإسلامية في المكتبات الأمريكية؛ فإنه لم تكن الولايات المتحدة الأمريكية سباقه في مجال المنافسة على جمع واقتناء مخطوطات التراث العربي بالمقارنة مع أوروبا التي تنهت لهذا مبكراً فجمعت منها الشيء الكثير غير أنه يمكن القول " أن أهم المعاهد التي تحتوي مكتباتها على مخطوطات عربية، هي جامعة برنستون Princeton وجامعة ييل Yale والمعهد الشرقي بشيكاغو The Oriental Institute وأهم هذه الثلاثة أولاها، وتحتوي على ثمانية عشر ألف مخطوط⁽²⁾.

¹ - Aurora Cano Ledesma, Indización de los manuscritos árabes de El Escorial, Madrid, Ediciones Escorialenses, Real Monasterio de El Escorial, 1996, (prólogo, pp. 7-34 بحث مترجم للعربية ترجمه الدكتور محمد عبدالسميع الباحث بمركز المخطوطات بمكتبة الإسكندرية .

² - فيصل الحفيان (محرر) (1998) التجارب العربية في فهرسة المخطوطات، مقال بعنوان: فهارس المخطوطات العربية بالخارج؛ مكتبة جامعة يوتا نموذجاً، للدكتور عادل سلجان جبال، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ص: 412.

هذا بالإضافة إلى مجموعة مخطوطات الكونجرس الأمريكي والتي تحوي مجموعة من النوادر والكنوز، التي تحصلت عليها المكتبة بالشراء لبعض المكتبات "ويحتوي قسم الشرق الأدنى في مكتبة الكونجرس على حوالي ألفين من المخطوطات الإسلامية في اللغات العربية والفارسية والتركية.. وتشتمل مكتبة البحث العلمي في جامعة كاليفورنيا بمدينة لوس أنجليس على الكثير من المخطوطات الإسلامية خصوصاً في اللغة التركية، وتحتوي مكتبة جامعة هارفارد على حوالي 800 مخطوط في اللغة العربية، ومكتبة مدينة نيويورك العامة هي من أهم المكتبات في الولايات المتحدة وتحتوي على أكثر من 600 مخطوطة في قسمها الشرقي. وغير هذه المكتبات يوجد أيضاً الأفراد الهواة والباحثون المتخصصون ومكتبات أخرى تولي التراث العربي عناية خاصة (1).

ثالثاً: عوامل اقتصادية

وهي ناتجة عن حالات العوز والاحتياج للمال فيُضطر بعض حائزي المخطوطات لبيعها؛ خصوصاً في الدول الفقيرة والواقعة تحت سطوة الحروب والمشاكل الاقتصادية، وهو ما ينتظره جامعوا المخطوطات من الأثرياء والمهتمين والتجار، فتُشتري بأعلى الأثمان حسب قيمة كل مخطوط من حيث الندرة والفرادة والنفاسة وطبيعة العلم الذي تتناوله " وقد كان يحيى بن محمد الأزني وهو إمام في العربية مليح الخط سريع الكتابة، كان يخرج في وقت العصر إلى سوق الكتب ببغداد، فلا يقوم من مجلسه حتى يكتب الفصح لثعلب ويبيعه بنصف دينار، ويشتري نبيذا ولحماً وفاكهة...وقد توفي سنة 415 هجرية وإذا أردنا أن نجري مقارنة بعد ألف سنة مضت مع كتاب مطبوع لفصح لثعلب، فهو متوافر في حدود خمسة دولارات، أما إذا أردنا مقارنة تلك النسخة التي كتبها يحيى بن محمد الأزني في ذلك الوقت وكم تساوي لو وقعت في

2- لمزيد من المعلومات راجع مقال "المخطوطات العربية في مكتبة الكونجرس الأمريكي وفي بعض دور الكتب الأمريكية د. جورج ن. عطية. رئيس قسم المخطوطات والمطبوعات الشرقية بمكتبة الكونجرس الأمريكي - واشنطن، مقال منشور ضمن مجموعة مقالات وأبحاث في كتاب المخطوطات العربية في الغرب الإسلامي، وضعية المجموعات وآفاق البحث، مطبعة النجاح الجديدة بالتعاون مع مؤسسة الملك عبدالعزيز، 1990، ص 117، ويرجع أيضاً للرابط الإلكتروني التالي:

<http://www.loc.gov/rr/amed/guide/nes-arabworld.html>

يومنا هذا...فيتبين لنا ما يلي: (6000 دولار) ثمن النسخة المكتوبة في القرن الخامس الهجري وهي في علم اللغة من الفئة الثالثة، ثم نزيد عليها 30% لأنها مكتوبة بخط علم مشهور ومعروف في اختصاصه، فتكون (7800 دولار) ⁽¹⁾ ومن خلال ذلك نستطيع أن ندرك كيف أسهمت تجارة المخطوطات في انتقال كثير من المجموعات إلى أماكن وأقاليم غير منشئها الذي نبتت فيه، فتراكمت المجموعات في أماكن على حساب أماكن أخرى.

الخاتمة:

يتبين مما سبق أن فهرس المخطوطات على مدار تاريخ التراث العربي كانت لازما ضروريا لحفظ وتيسير مطالعته، وقد وقفت من خلال بحثي على جملة من النتائج:

(1) أن الفهارس لا تقف عند كونها مداخل تسجيل بيانات لمخطوطات أو مؤلفيها وإنما تتعدى إلى كونها وجها من وجوه منهج البحث العلمي، إذ بمقدار ضبطه ودقته يكون نافعا في صحة توجيه الباحث إلى المسلك القويم في بحثه، اختصارا للوقت والجهد وحفظا للنسب التراث.

(2) أن ثقافة المفهرس عامل رئيس في تحديد درجة ضبط الفهرس من حيث تصنيف المادة التراثية أو تحديد مؤلفيها وزمن تأليفها على وجه الدقة في بعض الأحيان وإن لم يتوفر بالمخطوط المعلومات الدالة على هذه الحقول مباشرة.

(3) أن لكل نوع من أنواع الفهارس فائدة لا تتوفر لغيره، وأن فكرة وجود فهرس جامع للفوائد بأقل التكاليف وأدق النتائج تتوفر في فكرة الفهرس الالكتروني الشامل دون غيره من الفهارس.

(4) أن الفهارس تيسر لنا الاطلاع على ثقافات وتراث مجموعة من الأمم، إذ أن التراث العربي والإسلامي ليس تراث أمة واحدة، فالأمة العربية مجموعة من الأمم؛ الأندلس والعراق والسودان ومصر وغيرها.

(5) أن دور الفهارس في حفظ التراث المخطوط، لا يقل عن أي عامل آخر، إذ بتدوين بيانات المخطوط بفهرس وصفي، يمكننا تتبعه والوقوف على رحلته إذا هو سُرق أو ضاع.

¹ - عز الدين بن زغبة (1997) صناعة المخطوط العربي الإسلامي من التزميم إلى التجليد، بحث بعنوان: قواعد تقييم المخطوطات العربية الإسلامية، عبد الرحمن فرفور، دبي، ص: 273.

(6) تعددت نوايا وأغراض المستشرقين في تناولهم للمخطوطات والتراث العربي، ويمكن عن طريق النظر الدقيق في الفهارس التي وضعوها للمجموعات الخطية التي لديهم؛ أن نقف على بعض مكامن أغراضهم.

المصادر والمراجع:

المصادر والمراجع العربية:

- 1- أحمد أنشي (1958) المخطوطات العربية في مكتبات الأناضول، مجلة معهد المخطوطات العربية، المجلد الرابع، الجزء الأول.
- 2- أحمد بن محمد المقرئ التلمساني (شهاب الدين) (1900) م نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، ت: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، الجزء: 1.
- 3- أحمد شوقي بنين (2004) دراسات في علم المخطوطات والبحث الببليوجرافي، المطبعة والوراقة الوطنية الحى المحمدي، مراكش، ط: الثانية.
- 4- أيمن فؤاد سيد (1997) الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات، الدار المصرية اللبنانية، ط 1، ج 2.
- 5- تامر الجبالي (2011) فهرس المخطوطات الأصول، معهد المخطوطات العربية، القاهرة.
- 6- سعود بن عبد الله الحزيمي (1990) المراجع العربية، دراسة شاملة لأنواعها العامة والمتخصصة، طبعة الإدارة العامة للبحوث.
- 7- سماء زكي المحاسني (1999م) دراسات في المخطوطات العربية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض.
- 8- السيد السيد النشار (1997) في المخطوطات العربية، دار الثقافة العلمية، الاسكندرية.
- 9- صلاح الدين المنجد (1976)، قواعد فهرسة المخطوطات العربية، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط: 2.
- 10- عبد الستار الحلوي (2002) المخطوطات والتراث العربي، الدار المصرية اللبنانية. ط 1، القاهرة.

- 11- عبد الستار الحلوجي (2004) نحو علم مخطوطات عربي، دار القاهرة، مصر، ط: أولى.
- 12- عبد العزيز المسفر (1999) المخطوط العربي وشيء من قضاياه، دار المريخ للنشر، الرياض.
- 13- عبد الفتاح مصطفى غنيم (1994) صناعة الكتاب المخطوط عند المسلمين، دار الفنون العلمية، ج.3.
- 14- عز الدين بن زغبية (محرر) (1997) صناعة المخطوط العربي الإسلامي من الترميم إلى التجليد، بحث بعنوان: قواعد تقييم المخطوطات العربية الإسلامية، عبد الرحمن فرفور، دبي.
- 15- عزت ياسين أبوهيبة (1989) المخطوطات العربية، فهرسها وفهرستها ومواطنها في جمهورية مصر العربية، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- 16- عصام محمد الشنطي، مناهج فهرسة المخطوطات وعناصرها، بدون بيانات نشر.
- 17- علي إبراهيم النملة (1996) إسهامات المستشرقين في نشر التراث العربي الإسلامي، دراسة تحليلية ونماذج من التحقيق والنشر والترجمة، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط: أولى.
- 18- علي الخطيب (1983) تراثنا المخطوط من التأليف إلى الوراقة، هدية مجلة الأزهر، القاهرة.
- 19- فهرسة المخطوطات العربية. عابد سليمان المشوخي "ص262. مكتبة المنار.
- 20- فيصل الحفيان (محرر) (1998) التجارب العربية في فهرسة المخطوطات، تحرير: فيصل الحفيان، معهد المخطوطات العربية، مقال ل د: أيمن فؤاد سيد.
- 21- فيصل الحفيان (محرر) (1999) (فن فهرسة المخطوطات، مدخل وقضايا) مقال بعنوان: جهود المستشرقين ومناهجهم في فهرسة المخطوطات، لدكتور عادل سليمان جمال، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، 1999م.
- 22- فيصل الحفيان (محرر) (1998) التجارب العربية في فهرسة المخطوطات، مقال بعنوان: فهرس المخطوطات العربية بالخارج؛ مكتبة جامعة يوتا نموذجًا، للدكتور عادل سليمان جمال، معهد المخطوطات العربية، القاهرة.
- 23- محمد التونسي، المنهاج في تأليف البحوث وتحقيق المخطوطات، عالم الكتب، بدون بيانات نشر.

24- محمد حلمي إبراهيم، أحمد بهجت أحمد، ياسمين حسن محمد (2012) فهرسة المخطوطات العربية بين النظرية والتطبيق، مراجعة: عبد الستار عبد الحق الحلوجي، مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع، القاهرة، ط: أولى.

25- محمد فتحي عبد الهادي (2010) الدليل الإرشادي لفهرسة المخطوطات العربية، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ط: أولى.

26- مؤسسة الملك عبدالعزيز (1990) المخطوطات العربية في الغرب الإسلامي، وضعية المجموعات وآفاق البحث، مقال بعنوان: (المخطوطات العربية في مكتبة الكونجرس الأمريكي وفي بعض دور الكتب الأمريكية) لدكتور: جورج ن. عطية، مطبعة النجاح الجديدة.

27- مؤسسة الملك عبدالعزيز، المخطوطات العربية في الغرب الإسلامي، وضعية المجموعات وآفاق البحث، مقال بعنوان: المخطوطات العربية: أماكنها، الاشتغال بها- فهرستها وتصنيفها ومشكلاتها، للأستاذ عصام الشنطي، الدار البيضاء.

المصادر المترجمة:

1- فرانسوا دروش (2005) المدخل إلى علم الكتاب المخطوط بالحرف العربي، ت: أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن.

المصادر الأجنبية:

1- Aurora Cano Ledesma, Indización de los manuscritos árabes de El Escorial, Madrid, Ediciones Ecurialenses, Real Monasterio de El Escorial, (prólogo, pp. 7-34, 1996, بحث مترجم للعربية ترجمه الدكتور محمد عبدالسميع الباحث بمركز المخطوطات بمكتبة الإسكندرية .

المقالات العلمية:

1- مجلة عالم الكتب، مجلد 15، العدد الثالث، يونيو 1994.

مواقع الانترنت:

<http://www.attarikh-alarabi.ma/Html/adad21partie1.htm>
<http://www.loc.gov/rr/amed/guide/nes-arabworld.html>
<http://www.darelkotob.gov.eg/ar-eg/pages/Home.aspx>